اقل فصول الكتاب اهمّية ونفعاً؛ وفيها علّل تيفنان ووصف دور اللوبي اليهودي المؤيد لاسرائيل وجهوده في ايجاد التحالفات مع القطاعات المختلفة في المجتمع الاميركي، للمحافظة على امدادات اسرائيل العسكرية والاقتصادية كاملة، ولتؤمن استمرار استثنائها من التدقيق (انظر بصفة خاصة الفصل التاسع). وتتبع المؤلف المراحل التي أوصلت «ايباك» الى وضعها المسيطر الراهن، وأخذ هذه القضية كمسلّمة لا تحتمل النقاش، كون هذا اللوبي «اصبح كما لو انه يمتلك الكابيتول هيل» (اي يمتلك الكونغرس الاميركي). يمتلكه، لا يؤثر فيه، او يستميله، او يتفاهم معه)، بل يمتلكه (ص ١٨٧)، الامر الذي جعل واقع السياسات اليهودية في الولايات المتحدة يتمثل في «ان كل ما يقوله اللوبي اليهودي بشأن اي امر يتعلق باسرائيل هو ما تنفذّه الحكومة الاميركية»، وجعل بوسع «ايباك» ان تنفّذ ما تقول، وكما لا يكف توماس داين، رئيس اللوبي، عن القول لسامعيه اليهود: «ظل ذلك اللوبي كالفيل الهندي، لا يُنسى ابداً» (ص ١٦٢ ـ ١٦٣).

واضـاف تيفنـان: «ولربـع قرن، حتى الآن، ظلت ' ايبـاك ' اللوبي الاميركي اليهودي الرسمي في مقر الكونغرس، والمنظمة الوحيدة في واشنطن المسجلة كلوبي اميركي يمارس الضغط لحساب اسرائيل»، والسمسار المؤتمن بين رؤساء المنظمات اليهودية الاميركية واعضاء الكونغرس. ومنذ البداية، ظل مبرّر وجود هذا اللوبي مالياً، وظلت وظيفته الاساسية تأمين استمرار تدفق العون الاميركي على اسرائيل (٤٠ مليار دولار منذ اقامة الدولة اليهودية). فالذي لا يماري فيه احد ان الاقتصاد الاسرائيلي يعتمد، اعتماداً كلياً، على سخاء الكونغرس وكرمه، وان جنوح الكونغرس الى التقتير على اسرائيل ـ ان كان مثل ذلك التقتير متصوّراً ـ يعني دمار اسرائيل بأسرع ممّا يمكن ان يدمّرها جيش عربي. و«ايباك» قد باتت سيدة الكونغرس، وكان ذلك هو ما قصدت ان تقوم به.

الّا ان السيطرة على مقدّرات الكونغرس ليست بكافية. ومن هنا كان السعي الى «تملّك» البيت الابيض ايضاً. وكما تشير معركة القاضي روبرت بورك الاخيرة التي هزم اللوبي اليهودي، في غمارها، البيت الابيض، هزيمة منكرة، واحبط سعيه الى تعيين ذلك القاضي الذي وصف بأنه «متحيّز ضد الاقليات»، ظل هناك السعي الى تأمين المحكمة العليا، المرجع الاعلى في تفسير احكام الدستور وارساء السوابق القانونية. وبتأمين السلطات الثلاث، التشريعية (الكونغرس) والتنفيذية (البيت الابيض) والقضائية، وبالذات المحكمة العليا، وفي الوقت عينه امتلاك وسائل الاعلام والنشر ووسائل صنع الرأي، اقترب اللوبي من ان يصبح «سيد الولايات المتحدة»، وليس «سيد الكونغرس» فحسب.

هنا، ليسمح لنا تيفنان بالانتقال الى الهجوم المضاد لندعوه الى الكفّ عن هذه «التفسيرات الجديدة» للولاء المزدوج لليهود الاميركيين، والتي لا تفسّر شيئاً، بينما هي تجعلنا نستشيط غيظاً؛ اذ ان هذه التفسيرات محكومة بالتناقض الذي فرضه منهج الكاتب نفسه، وجعل عدداً كبيراً منها ملتبساً وغير واضح. فبمقدار ما حثّ تيفنان على ضرورة التمييز بين يهودية المرء واميركيته، فانه أوصلنا الى افكار مختلطة ومشوّشة وذات طابع انتقائي في النتيجة.

طبعاً، لم يقل تيفنان لنا ماذا يعرف عن عملية صنع السياسة الخارجية الاميركية، ويبدو انه، هو نفسه، لا يهمّه هذا التفصيل؛ فمن مكانه، يستطيع التعميم، من بعد. ولا ريب، فان ما يثير في صنع السياسة الخارجية الاميركية، منذ هاري ترومان، ليس تقطعاتها، انما استمراريتها المدهشة. ليس الاختلافات بين التأكيدات التي جاء بهـا هؤلاء الرؤساء بعد الحرب العالمية الثانية الى السياسة الخارجية، انما تماثل مواقفهم تجاه العالم الخـارجي. ومن المأمون ان نذهب الى ان الاستمرارية المتجسّدة في مؤسسة متكاملة (كمؤسسة الرئاسة في الولايات المتحدة) هي دالّة التعقيد. والتعقيد، بدوره، لا يلفت انتباه الباحث، أي باحث، الّا اذا كان مجال بحثه سياقياً. وكلّما كان سياق الرؤية اكثر تعقيداً ازدادت استمرارية المؤسسة.

هكـذا، يتميّز التيار الرئيس لتفسير صنع السياسة الخارجية الاميركية ازاء الشرق الاوسط بتركيز على «التفسـير التاريخي» اكثر منه على التفسير التحليلي، وكأنه تركيز على ما يسمّى بـ «التفسير الحكومي»، أي